

دور الفن في الحضارة الإسلامية

The role of art in Islamic civilization

أ.د/ سيف راشد الجابري

رئيس اتحاد الأكاديميين والعلماء العرب - أستاذ الثقافة الإسلامية بالجامعة الكندية دبي

Prof. Saif Rashid Al Gabri

President of the Union of Arab Academics and Scholars - Professor of Islamic Culture at the Canadian University Dubai

dr-aljaberi@hotmail.com

ملخص:

يشكل الفن ركيزة أساسية في بناء الإنسان والحضارات وتعزيزها، فهو ليس مجرد تعبير عن الجمال بل هو وسيلة قوية تساهم في تشكيل وتوثيق الهوية الثقافية للأمم والشعوب ، فمن خلال الفن أمكن للمجتمعات التواصل والتفاهم بصورة عميقة وبناء جسوراً وروابط قوية بين الأفراد والثقافات المختلفة فمن خلاله يمكن للأفراد التعبير عن أفكارهم ومشاعرهم وتجاربهم بطرق فريدة ومبتكرة، ويعد الفن في الحضارة الإسلامية على قمة أنواع الفنون في العالم كونه الوحيد الذي تحكمه قيم ومعاني سامية ربانية تمنعه من الانزلاق نحو السقوط الأخلاقي والقيمي وتحافظ عليه ليكون نقياً ، ومفيداً للبشرية .



فالفن الإسلامي فن عريق نابع من عمق التاريخ على امتداد الزمان ومتأصل من جذور الثقافة العربية والإسلامية وهوية راسخة تشكلت منذ ١٤٠٠ عام .

ومن أجل العرف على دور الفن في الحضارة الإسلامية سنتطرق في هذا المقال إلى ماهية الفن الإسلامي ، وتطوره عبر التاريخ ، واثره في الحضارة الإسلامية والعالم وبعض من نماذجه وخصائصه متمنياً لكم قراءة مفيدة .

الكلمات المفتاحية:

الفن، الحضارة الإسلامية، الخط العربي

Abstract:

Art is an essential pillar in building human beings and civilizations and their needs. It is not just an expression of beauty, but rather a powerful means that contributes to the formation and documentation of distinct cultural identity and peoples. Through art, it enables communication and understanding accurately and in a bridge-like manner and strong ties between people and different cultures. Through it, it is possible to reach About their ideas, poets, and merchants in unique and innovative ways, and requires art in Islamic civilization to be at the top of the types

of arts in the world, as it is governed by sublime, divine values and meanings that prevent it from heading towards the moral and ethical master and preserve it to be pure and beneficial to humanity.

Islamic art is an ancient art that stems from the depth of history throughout time and is rooted in the roots of Arab and Islamic culture, which has been well-established and diverse for 1,400 years.

In order to learn about the role of art in Islamic political science, we will discuss in this article the nature of Islamic art, and what came after it throughout history, and its impact on Islamic civilization and some of its models and characteristics. I wish you a useful reading.

key words:

Art, Islamic civilization, Arabic calligraphy

الفن في الحضارة الإسلامية

الفن الإسلامي في الحضارة الإسلامية اعجوبة من عجائب الزمان بدأت مع قيام الدعوة إلى الدين الإسلامي فظهرت معجزاته في أقوام الصحراء القاسية فعدل السلوك والقيم والتعاشيش السلمي وقبول الآخر، فبرز فيها عمالقة الفن العربي في الشعر والنثر والبلاغة والأدب والخط والكثير منها وكانت في بلد أو حضارة تصلها الدعوة الإسلامية تتفاعل معها فمنظومة القيم التي تعطيها تأخذ منها مزيداً من التألق في الإبداع والابتكار والهوية حتى عرفت بالحضارة الإسلامية ومن هنا تنوعت في هذه الحضارة أنواع الفن الإسلامي لتشمل شتى المجالات التي كانت تعبر عن الانتماء والعادات والتقاليد ممزوجة بالهوية الجديدة للأمة .

تعريف الفن الإسلامي :

لا يوجد تعريف دقيق للفن الإسلامي بالذات كونه يغطي العديد من الأراضي والشعوب المختلفة على مدى ١٤٠٠ سنة، فهو فن ليس مرتبطاً على وجه التحديد بدين أو وقت أو مكان أو وسط واحد مثل الرسم أو نحوه ، ولكننا سنقدم تعريفاً من التراث الإسلامي يحاكي موضوع مقالنا بالآتي :

الفن لغة : التوسع والتصرف

اصطلاحاً : صرفها أميل يعقوب في المعجم المفصل للدلالة على كل عمل إنساني يتطلب إنجاز مهارة خاصة ويقتضي حدقاً معيناً ودرية متميزة فليل مثلاً عن الإنتاج الصناعي فناً وذلك لاقتضائه مهارة في الصنع ، وحدقاً في الممارسة ، ودرية خاصة في كل نوع من أنواعه فالخياطة فن يهذ المعني وكذلك الحدادة والزراعة وسائر أنواع الحرف والصناعات بلا استثناء.

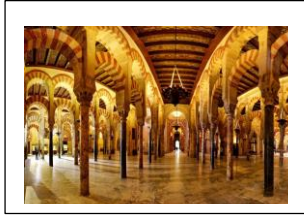
يعرف المختصون في مجالات الثقافة والفنون تعبير "الفن الإسلامي" بأنه "كل ما يطبق على الإنتاج الفني الذي وقع منذ هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم عام ٦٢٢ ميلادي، وحتى القرن التاسع عشر في منطقة تمتد من إسبانيا إلى الهند. وهو عبارة عن مجموعة من المبادئ الفكرية المستنبطة في غالبيتها من العقيدة الإسلامية ومن مبادئ العبادة وصورها، وتظهر انعكاسات العقيدة وما يتعلق بها من أحكام وأفكار على سلوك الفنان المسلم ونتاجه، وهو ما يعطيه خصوصيته مقارنة بالفنون الأخرى.

الفن الإسلامي عبر التاريخ

1. بدء من القرن السابع الميلادي منذ هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم .
2. بدء بالتطور حتى القرن التاسع الميلادي خاصة في فترة الحكم الأموي، وذلك بسبب إدخال مفاهيم جديدة، وقد كان واضحا في بناء **مسجد قبة الصخرة** بمدينة القدس، والذي يُعدّ من أهمّ المباني في الفنّ الإسلامي.
3. تجلّى الفن الإسلامي في العصر العباسي في بناء العواصم، خاصة في بناء المدينة على شكل دائري، وبناء المسجد في وسطها، وصنع الأثاث من الجص الذي ساهم في نقش الزخارف وغيرها.

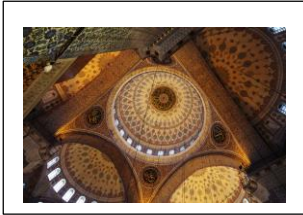


4. بدء الفن المعماري تقريبا من القرن التاسع إلى القرن الخامس عشر في المغرب العربي بأشكال الأقواس النصف دائرية والمستوحاة من النماذج القوطية والرومانية، وقد ظهر ذلك في بناء **الجامع الكبير بمدينة قرطبة** وغيرها الكثير وليس فقط في هذه المساحة بل كان هنا على التوازي الفن في شرق آسيا .



5. آسيا الصغرى وإيران فكان أكثر حضورا، لأن كل دولة تُحاول أن تُثبت نفسها

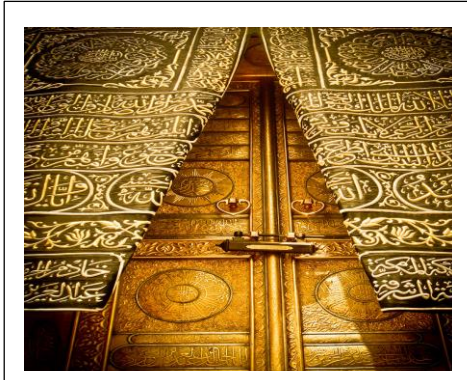
بفنها، فقد تم إنشاء مُدن كبرى مثل غزنة، ونيسابور، والجامع الكبير في مدينة أصفهان، كما شهدت العمارة الجنائزية تطورا



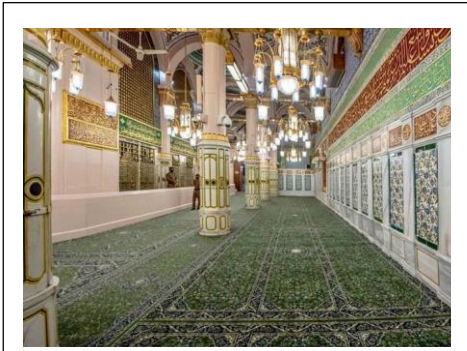
كبيراً، وصنع الكثير من القطع الفنية المزخرفة والمزينة. كما ظهر **الفن الإسلامي خاصة في القبة الذهبية** وقد تأثر بالصين، وقد كانت حرفة صناعة المصوغ المستوحاة من الحضارة الصينية متطورة كثيرا، وهناك أيضا الفن الإسلامي في الأناضول؛ وهو الذي كان ذا هندسة معمارية مستوحاة من الأنماط الإيرانية، وكان نصيب الخشب أكثر في فنهم، ومثال على فنهم المعماري مسجد تبريز الأزرق والقباب، واستعمال الخزف. كما نجد أيضا من القرن الخامس عشر إلى القرن التاسع عشر فن الإمبراطورية العثمانية.

وحدة الفن الإسلامي

يرى البعض أن أجمل ما في الحضارة الإسلامية هو (فنونها) ذات اللون الواحد التي مثلت حلقة الوصل بين مختلف الشعوب وأنواع الثقافات، والتي تتحدى كل أشكال العنصرية والتعصب ، ويشكل **البيت الحرام بمكة المكرمة والمسجد النبوي الشريف** أهم نموذجين لوحدة الفن الإسلامي في الوقت الراهن .



وترجع هذه الميزة الفريدة للفن الإسلامي إلى الرمزية التي يتسم بها، كونه كما أسلفنا تأثر بأنواع من فنون حضارات سابقة وأثر على فنون لاحقة، حيث عد جسراً بين الثقافات والشعوب على مر الزمان، فبداية نشأته كانت معتمدة على التراث الحضاري للأمم القديمة التي شملتها الدعوة الإسلامية خاصة تلك ذو التاريخ العريق كالحضارة اليمنية والمصرية والرافدية والفارسية والهندية والصينية، وهذا ما يؤكد ان الفن الإسلامي ذو اتجاه



واحد ولون واحد وهوية عامة وفن و طراز عام تدخل ضمنه مدارس كثيرة لها خصوصية محلية أخذتها من تقاليدها وعاداتها وإرثها المتوارث وحوكمتها منظومة القيم والمبادئ والتشريعات السامية للشريعة الإسلامية أطرتها في صورة واحدة جمالية مليئة بالجمال والإيجابية وخالية من السلبيات والشور .

وبناء على ذلك فقد أراد الفنان المسلم أن يحاكي الطبيعة بروحها وجوهرها وليس بأشكالها المتغيرة، فجعل مقياس الأشياء روحياً وجدانياً، كما حاول تجريد الأشياء المادية وتجزئتها وإحالتها إلى عناصرها الأولية ثم أعاد بناءها من جديد وفق نظرة فلسفية جمالية نتيجة لهذا الحس الأخلاقي والديني، ولهذا فقد عاشت الشعوب العربية والإسلامية في ظل فنون واحدة تغزو كل حياتهم، وكان الجمال متغلغلاً في كل شيء، في مطرقة الباب، الأبواب والنوافذ والمشربيات، حتى أصبحت شوارع المدن الإسلامية قطع فنية أذهلت المستشرقين والفنانين الغربيين فنقلوا للعالم هذا الجمال الذي يسمو بالنفس الإنسانية على سطح لوحاتهم الفنية.

أنواع الفن الإسلامي وخصائصه

من أنواع الفنون الإسلامية:

● الفنون التطبيقية وهي تلك التي دخلت بوصفها عملية تجميلية لحوائج حياة الإنسان اليومية كالخزف والزجاج والنسيج والسجاد والزخرفة الخشبية.



● فن الخزف حيث تعدّ الزخرفة الخزفية أبرز أنواعه، والتحف الخزفية الإسلامية في مقدمة تحف الفن الإسلامي.

● فنون صناعة الزجاج، وهي صناعة قديمة في سوريا ومصر، بلغت قمتها في هذين البلدين في القرن السادس هجري.



● فن الزخرفة الخشبية، حيث كانت مادة الخشب مجالاً لعمليات تجميلية متنوعة، سادت في كثير من البلدان الإسلامية.



● فن النسيج والسجاد، فقد أنشأت بعض الدول المسلمة دوراً خاصة تشرف عليها الدولة، مهمتها إنتاج الملابس لبيت الخلافة، وقد أطلق على هذه الدور اسم دور الطراز.



● فن التجليد الذي ارتبط بداية بعملية لكتاب القرآن، ثم تطور ليصبح صناعة فنية خاصة بالكتب.



● فن العمارة، وقد بدأت العمارة الإسلامية من عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، وبدت ملامح المدينة العمرانية والمعمارية، بدءاً من عمارة مسجده ومسكنه والسوق ومصلى العيد إلى التحصين الحربي للمدينة.

● الفنون الأدبية الكتابية، فمن أهمها الشعر والخطابة، وهي من الفنون العربية الأدبية الأولى لدى العرب حتى قبل ظهور الإسلام.

● أما أهم الفنون الإسلامية فكان فنا الخط العربي والأدب، وقد ظهرت الحاجة إلى استعمال الخط العربي ومعرفة الكتابة بظهور الإسلام والحاجة إلى كتابة القرآن، ومن ثم تحوّل الخط إلى فن، حتى عرفت الخطوط العربية بوصفها أحد أنواع الفن الإسلامي.

الخط العربي على قمة الفنون الإسلامية



انفرد الفن الإسلامي من بين فنون العالم بالخط العربي الزخرفي الذي استخدم على أوسع نطاق وفي جميع المنتجات الفنية والمعمارية، فقد حل الخط العربي بجماليته ومعانيه الروحية محل الصور التي كانت في الكنائس فأدرك الفنانون المسلمون الأوائل أهمية هذا الخط فجعلوا منه عنصراً تشكيمياً طبعاً في الزخرفة وأبدعوا بالتشكيل به، وكان القرآن الكريم هو العنصر الأساسي الذي اهتم به الخطاطون حيث

زخرفوا عناوين السور بالذهب ووضعوها داخل إطارات مزخرفة بأنواع الزخارف الخطية والنباتية والهندسية ظهرت فن الحروفيات المتعددة والتي منها على سبيل المثال لا الحصر : (الخط الخالص ، خط الكلاسيكية الجديدة ، الكلاسيكية الحديثة ، الرسم في الشوارع «الجرافيتي» ، الخط الحر، مجموعات الخط: وهي التي تستخدم أي مزيج من أنماط الخط ، الخط التجريدي: الذي يفكك الحروف ويتضمنها كعنصر رسومي في عمل فني تجريدي، وقد تكون الرسائل مقروءة أو غير مقروءة أو قد تستخدم نصاً زائفاً... الخ)

ولا يزال إلى اليوم الخط العربي على رأس قمة الفنون ذات العلاقة في العالم ، وما يدل على ذلك هو عجز برامج التصميم الحديثة من الجيل الرابع بكافة فئاتها من تغطية فن الخط العربي بالنظام الرقمي فلا زالت يد الفنان والخطاط والرسم هي صاحبة الرقم الصعب في هذا المضمار .

المراجع :

- (ابن منظور – لسان العرب)
- (abn - lisan allisan)
- أميل يعقوب في المعجم المفصل
- 'amil yaequb fi almuejam almafsilii
- (<https://islamonline.net>)
- مسيرة الفن الإسلامي : الأستاذة نجيب محفوظ
- tafail alnashat al'iislamii : al'ustadhat najib mahfuz
- الفن الإسلامي والعمارة : بقلم ماري كاي
- alfano al'iislamiu waleimarat :bqalam mari kay
- فن الإقليم الإسلامي :الأستاذ عبدالله الدوسري
- fani al'iiqlim al'iislamii :al'ustadh eabdallah aldawsari
- الفن الإسلامي : هنري ستوارت
- alfano al'iislamiu : hinri stwart